

شهداء الفضيله

الشهيد آية الله السيد عبدالصاحب الحكيم



«الولادة والدراسة

ولد الشهيد السيد عبدالصاحب الحكيم نجل آية الله العظمى السيد محسن الحكيم في مدينة النجف الأشرف عام (١٣٦٠ هـ)، انتظم في سلك الحوزة العلمية منذ نعومة أظفاره وطوى بسرعة العديد من مراحل الدراسة فيها.

الحكيم في مدينة النجف الأشرف عام (١٣٦٠ هـ)، انتظم في سلك الحوزة العلمية منذ نعومة أظفاره وطوى بسرعة العديد من مراحل الدراسة فيها.

درس وتلمذ على أيدي أساتذة معروفين في الحوزة العلمية بمدينة النجف الأشرف. كانت للشهيد الراحل أخلاق عالية حسنة وقلب طاهر. وكان حلو المعشر لا تفارق الابتسامة وجهه، وعُرف عنه حبه الشديد لأهل البيت عليهم السلام.

مقامه العلمي

كان هذا الشهيد شغوفاً بطلب العلوم الدينية ولهذا انتظم في سلك الحوزة العلمية منذ نعومة أظفاره، اجتاز مرحلة المقدمات والسطوح العالية بنجاح وحضر دروس الخارج لدى كبار علماء الحوزة ووصل بعد مدة الى درجة الاجتهاد.

أساتذته

درس هذا العالم الرتباني على أيدي أساتذة كبار نذكر منهم:

- آية الله العظمى السيد محمد الروحاني.
- آية الله السيّد الشهيد محمد باقر الحكيم.
- آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر.
- آية الله العظمى السيد أبوالقاسم الخوئي.

«نشاطه وصفاته الخُلقية

بلغ هذا العالم الرتباني مرتبة الاجتهاد في سن الثلاثين من عمره وله تحقيقات عديدة في قضايا فقهية وأصولية، وظلّ سنوات يدرس كتب الكفاية والرسائل والمكاسب.

وبدأ في عام (١٣٩٩ هـ. ١٩٧٩م) تدريسه بحوث الخارج وكان يحضر درسه فضلاء من أمثال الشهيد السيد علاء الدين الحكيم، والسيد مرتضى الحكيم، والشيخ السالكي.

وكان الشهيد السيد عبدالصاحب يولي أهمية فائقة لدروس الأخلاق وبخاصة في ليالي شهر رمضان المبارك. وكان الشباب المتدين يحضر دروسه الأخلاقية هذه.

ومن خصائصه الأخلاقية وسيرته الإيمانية أنه كان كثير الاعتكاف، وكان يتردد على مرافد الأئمة الأطهار عليهم السلام ومداموا على صلاة الليل ويؤدي الصلوات المستحبة باستمرار.

وكان لا يتوانى عن أداء رسالته في نشر الأحكام والعقيدة الإسلامية وقد عُرف في الأوساط الشعبية العراقية بتدتيّه وإلتزامه.

«مؤلفاته

لشّهاد الحكيم آثار علمية عديدة أغلبها في الفقه والأصول نذكر منها:

- منتقى الأصول: تقريراً لبحوث الأصول لأستاذة آية الله العظمى السيّد محمّد الروحاني.
- المرتقى الى الفقه الأرقى: تقريراً لبحوث الفقه. الخيارات، الصوم، الزكاة، الخمس، الحجّ.
- لأستاذة آية الله العظمى السيّد محمّد الروحاني. شرح على كتاب الكفاية.
- رسالة في طهارة الخمر.
- محاضراته في (أصول الفقه).
- محاضراته في (العقائد والأخلاق).

«استشهاده

اعتقل بتاريخ (١٠/٥/١٩٨٣ م، (١٤٠٣ هـ) ونال درجة الشهادة الرفيعة بتاريخ (٢٨/٥/١٩٨٥م، (١٤٠٥ هـ) بعد أن نفّذ البرابرة البعثيون حكم الاعدام بحقه تغفده الله برحمته.



نرحب بآراء القراء الأعزاء

عبر البريد الالكتروني التالي

Alafagh1444

@gmail.com



نبذة

ولد آية الله رضا استادي مقدّم (الطهراني) في عام ١٩٣٧م في طهران. اكمل دراسته الابتدائية والمرحلة التمهيدية من الدراسة الحوزوية في طهران. ثم توجه بعد ذلك إلى قم لغرض اكمال الدراسة في الحوزة؛ حيث تلمذ فيها لمرحلة السطوح على يد الأساتذة الآيات: ستودة، والمشكيني، والميرزا حسين النوري، والخزعلي، ومحمد الشاهآبادي، والسبحاني، والمنظري، ومكارم الشيرازي، وسلطاني البروجردي، وآذري القمي.

وإلى جانب الدراسة كان آية الله استادي يهتم لجانب التبليغ أيضاً، إلى جانب التدريس. وكان لديه اهتمام خاص بتقصي وتحقيق واحياء التراث المدوّن للسالفين من العلماء. ولهذا السبب نلاحظ ان معظم مؤلفاته تتركز في مجالات: فهرسة المخطوطات، والكتابة حول حياة وسيرة كبار العلماء، وتحقيق الكتب والرسائل. تولّى مسؤوليات تنفيذية مختلفة، نذكر منها مثلاً: ادارة الحوزة العلمية في قم، وعضوية مجلس صيانة الدستور، وعضوية مجلس خبراء القيادة، وعضوية هيئة امناء دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، وعضوية الهيئة الادارية لمؤسسة «على طريق الحق»، وعضوية المجلس الاعلى للحوزات العلمية، وإمامة صلاة الجمعة في قم.

وفي الوقت الحاضر يتولّى آية الله استادي أيضاً رئاسة المؤتمر الدولي لتخليد ذكرى الشريف المرتضى علم الهدى. وفي ضوء هذه المهمة أجرينا معه لقاء طرحنا عليه خلاله الأسئلة التالية:

كيف تقيّمون مكانة الشيف المرتضى بين علماء الشيعة؟ وما هي الخصائص والمميّزات التي كان يتّصف بها؟ وما هي ابداعاته العلمية؟ وما مدى تأثيره في المجتمع الشيعي في عصره؟

وما هي أفكار وتوجهات الشريف المرتضى التي يمكن ان تكون مفيدة لعصرنا أكثر من غيرها؟ وما العوامل المؤثرة في تربية شخصيات كالشريف المرتضى وجعلها شخصيات مؤثّرة؟ وما هي التوصيات التي تقدّمونها لمواجهة الاختلافات النظرية بين علماء ومفكرين مثل الاختلافات بين القميين والبغداديين؟ وانتم بمصفتكم رئيساً للمؤتمر، ما هي النتائج التي تأملونها من وراء عقد هذا المؤتمر؟

وما هي توصياتكم للجنة العلمية والمسؤولين عن عقد هذا المؤتمر؟

فكتب سماحته في جواب هذه الأسئلة ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أقول في معرض الاجابة عن الأسئلة الاولى ما يلي:

ينبغي مسبقاً التعرف على الظروف التي كان يعيشها الشيعة يومذاك؛ اي في عهد الشريف المرتضى والشريف الرضي وبعض اساتذتهما وتلاميذهما ومقتضيات ذلك العصر، وكذلك الظروف التي كان يعيشها أهل السنة يومذاك، لكي تكون لدينا صورة واضحة عن حدود الحرية التي كانت متاحة للشيعة لبيان معتقداتهم والدعوة بها ونشرها. كما ينبغي أيضاً أن نكون على علم بالمعطيات السلبية التي كانت ستواجه الشيعة في حالة عدم اخذهم بزمام المبادرة والمواقف الحازمة والموثقة. ولا يمكن طبعاً الادلاء برأي حول مكانة الشريف المرتضى عليه السلام وأقرانه، إلا في ضوء التعرف على هذه المقدمات.

١. وفقاً للتحقيق الذي أجراه المرحوم سيد حسن الصدر، فان اوائل من أسسوا العلوم الإسلامية كان معظمهم من علماء الشيعة، ولكن لا ينبغي الغفلة عن أمر وهو انه إلى عهد الشيخ الكليني، والشيخ المفيد، والشريف المرتضى لم تكن الكتب والمؤلفات على ذلك النجو الواسع من حيث جامعيتها ونظمها؛ ولهذا فقد كان هناك شعور بوجود نقص في جانب من المعارف. وأما بالنسبة إلى الآخرين فقد بادروا إلى هذا العمل مبكراً ونظّموا ما كان لديهم وكانت لهم الاسبقية في هذا المجال في الظاهر وذلك بفضل دعم الحكومات لهم ولأسباب أخرى أيضاً. ننكر من ذلك على سبيل المثال ان البخاري (م ٢٥٦هـ) ومسلم بن الحجاج (م ٢٦١هـ) اللذين ألفا كتابي الصحيحين حسب اصطلاحهم. واما عند الشيعة فقد تم تأليف كتاب «الكافي» وكتاب «من لا يحضره الفقيه» بعد عشرات السنوات من ذلك التاريخ. وقد ذكرت هذا من باب المثال فقط. وهكذا الحال بالنسبة إلى العلوم الأخرى أيضاً. فتفسير الطبري مثلاً يعود تاريخ تأليفه إلى ما قبل عام ٣١٠هـ ولم يكن لدى الشيعة حينذاك تفسير يضاهي تفسير الطبري. كانت مقومات جميع العلوم بالاستفادة من أحاديث أهل البيت عليهم السلام متوفرة على نحو متناثر وعناوين كلية، ولكن نادراً ما نجد تأليفاً موسعاً ومرتبّأ على نحو منظم.

غايتي من ذكر هذه المقدمة هي ان أحد الامور المهمة والضرورية جداً بالنسبة إلى علماء الشيعة في ذلك الوقت هو الإتيان بمؤلفات تنصف بالدقة والمتانة، ليستقطوا بها تلك الذريعة التي كان يتّيج بها الخصوم الذين كان يزعمون ان الشيعة ليست لهم مؤلفات، ولأجل تعريف الشيعة وعلماء الشيعة بمعارف أهل البيت في اطار مؤلفات رصينة.

في هذا المجال أنجزت أعمال ذات قيمة عالية. نذكر من ذلك كتاب «تفسير حقائق التأويل» الذي كتبه أخو الشريف

حوار

شخصية الشريف المرتضى وتراثه وعصره

في حوار مع آية الله استادي



(وغيرهما) في المجال الحديثي، يصبّ كلّه في هذا الاتجاه؛ حيث كان العمل غالباً ما يتركّز على اسانيد الأحاديث، ولكن عمل الشريف المرتضى وآخرين كان أكثر ما يُعنى بتوضيح النصوص وتقليب الالوجه المحتملة فيها واختبار الالوجه التي تتسابق مع المبادئ الأساسية لمدرسة أهل البيت. وأبرز مثال على ذلك ما يمكن مشاهدته في كتاب الأمالي، وكذلك بين ثنايا الاجابات التي طرحها عمّا عُرض عليه من أسئلة كلامية.

٣. في ذلك الوقت كان هناك رواجاً للمباحث الكلامية؛ لأسباب بُيّنت في مظآئها. وكان الجميع وخاصة علماء أهل السنة والمخالفون أحياناً يلجون في كل مقولة من مقولات العقائد الإسلامية ويدلون بآراء . تكون أحياناً سخيفة وفجة . ولو أنّ ذلك السوق الصاحب والأجوف تُرك على عواهنه يومذاك لآلحق الكثير من الضر بالدين الإسلامي وبمدرسة أهل البيت. وهذا ما جعل الشيخ المفيد والشيخ المرتضى ومن التحق بركبهما يشعرون المسؤولية والدخول في هذه المباحث التي تُسقى بالعقلية أو ما يُطرح من رؤى حول المعتقدات الإسلامية الأصلية؛ من أجل التصدي لذلك الضر والوقوف دون وقوعه. فكان من الأعمال العلمية التي نهض بها الشريف المرتضى الدفاع عن مذهب أهل البيت عن طريق الاجابة عن الأسئلة أو الاحتجاج والمناطرة أو على شكل تأليف كتاب مثل كتاب تنزيه الأنبياء.

٤. تكريم الحديث والتوجّه نحوه أمر ضروري وواجب ولكن في الوقت ذاته، هناك ما هو أهم من ذلك وهو أساس الدين والمذهب. ومن هنا كان يُطرح أحياناً استناداً بعض الأحاديث ما يوصف انه من عقائد الشيعة، بيد انه لم يكن له أساس رصين. ومن هنا فقد كان الشريف المرتضى في مثل هذه الحالات يعلن أحياناً صراحة ان الحديث غير يقيني بالتأكيد، وفي أحيان أخرى كان يشكك في صواب أقوال بعض كبار العلماء حتى وان كانوا من الشيعة. لكي فيه الآخرون ويتّبعون المسألة بمزيد من الدقّة. ولابد انكم تدركون ان السير على هذا النهج يتطلب شجاعة وصراحة وعدم التخوّف من بعض المواقف المعارضة. حتى من الاصدقاء . وقد كان الشريف المرتضى يتّصف بهذه الصفة.

٥. طلب الرئاسة وحب الدنيا عند بعض الصحابة بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجهم عن النهج الذي كان قد رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأحدت بينهم فرقة وانقساماً، وهذا الانقسام يزداد يوماً بعد يوم. وكثيراً ما تقع الاقلية الشيعية والأكثرية السنيّة في صراعات من جوانب مختلفة ووقع الشيعة ضحية لظلم مضاعف. وقد نتج عن تلك الصراعات تنامي العداء والشتائم والّتهم. وقد استمر هذا الاختلاف على تلك الدرجة من الحدّة والشدّة في زمان الشيخ المفيد والشريف المرتضى، وقبله. ولم تكن له حصيلة سوى الاضرار بالإسلام والنيل منه والاساءة إليه. والاجراء الوحيد الذي كان متناً لتهدئة الأجواء والاستمرار في مناقشة المعتقدات والأفكار بعيداً عن الشتائم والمنازعات البدنية واللفظية، هو ان يبيري علماء كبار في ظل الظروف التي اتبعت يومذاك وفشنت المجال أمام الشيعة إلى حدّ ما، إلى بيان وتاصيل عقائد الشيعة في تأليفات مدعومة بالاستدلال والمنطق بدلاً من أساليب الشتم والتكفير؛ من أجل ان ينتزعوا الذريعة من أيدي المخالفين. ومن ذلك مثلاً ان يكتبوا تفسيراً للقرآن وبينوا فيه بشكل جلي الآيات المتعلقة بأهل البيت ويضعوا الحقائق بين يدي القراء . الذين ربّما يكونون من أهل السنة أيضاً . وهكذا يبرزون مذهب أهل البيت كمذهب منطقي وهو قائم على اسس القرآن والأحاديث الأصلية والعقل.

وكان ممن اختاروا السير على هذا النهج الشريف المرتضى. فالت تجد في كتبه أفضل أساليب الدفاع عن مدرسة أهل البيت؛ ولكنه غالباً ما يبيّن الامور على نحو لا يثير حفيظة الآخرين. وينبغي بطبيعة الحال عدم الرضوخ لقضية حساسية الآخرين إلى الحد الذي يمنع عن بيان الوقائع. لاحظوا كتاب نهج البلاغة تجدون ان الشريف الرضي كان متحفظاً فيه إلى حدّ بعيد، غير انه ذكر فيه الخطبة الشقشقية أيضاً. وهناك أيضاً ما يشبه الرسالة كتبها الشريف المرتضى في توضيح هذه الخطبة، ولكن لا اظن أحداً يحكم بنحو واحد على تفسيرين مثل تفسير القمي وتفسير مجمع البيان. فقد كتب أمين الإسلام الطبرسي تفسير البيان بالشكل الذي يبرز أحقية أهل البيت من جهة، ويمكن أن يُقبل في الأوساط العلمية والدينية لأهل السنة من جهة أخرى، وهذا ما تحقق بالفعل. في حين أنّ تفسير القمي كتب بالنحو الذي دفع ذوي الحساسيات من أهل السنة إلى نتائج غير حميدة. ونحن طبعاً نساءل الله الرحمة لهم جميعاً.

٦. في ختام هذا القسم أرى لزماً الإشارة إلى أنّ بعض الاعلام مثل الشريف المرتضى قد جعلوا هذا المنطق أساساً لمنهجهم وعلمونا ان «نحن أبناء الدليل أينما مال



نميل». ومن المؤكد ان هذا المنطق يصبّ في مصلحة الدين. من المفترض أن يكون هناك سؤال وجواب، وينبغي فتح باب الحوار والنقاش. ولابد أن يكون هناك بين علماء المذهب الواحد اجتهاد وتحقيق وعدم تمسك بالتقليد الصرف. إن ما قام به الشيخ المفيد من كتابة تعليقات على كتاب الاعتقادات للشيخ الصدوق. بما كل ما له من عظمة . بل وحتى مؤاخذات أحياناً (وبغض النظر عن مسألة مطابقة رأي أي منهما للواقع)، يوجب عظمة الدين. لقد كان الشريف المرتضى يدخل أحياناً في نقاشات مع كبار علماء الشيعة من غير خوف ورهبة، في محاولة لتعديل بعض أقوالهم. كما ينبغي القول أيضاً أنه قد وقع أحياناً في أخطاء لا يُستهان بها. والمعصوم من عصمه الله. واما بالنسبة إلى الأسئلة الأخرى فينبغي القول إنّ ما ارتجيه . جرياً على خطا سائر الحريصين . هو تقديم جميع ما بين أيدينا من تراث المرحوم الشريف المرتضى، بشكل صحيح وكموسوعة. المؤلفات التي طبعت في ما سبق كما ينبغي، تُطبع على هيئتها مع مراعاة حقوق محقّقيها. ولا ينبغي ان يُعاد التحقيق من جديد ويُطبع كتاب باسم محقق جديد لمجرد وجود بضعة أخطاء يمكن التنبيه إليها بواسطة صفحة من تنبهات الى الاخطاء.

ان الأمر يستدعي تأليف كتاب تحليلي وموثّق حول سيرة هذا العالم الجليل؛ إذ ان موضع هذا الكتاب له فراغ مشهود في المكتبات، غير ان تكرار المكررات وهو ما أصبح شائعاً في الآونة الاخيرة، فهو عمل غير مجدّ ولا فائدة فيه. وأما بالنسبة إلى البحوث فينبغي ان تكون عميقة حتى وان كان يقومون به من تحقيق الكتب، فهذا لا ينبغي ان قبولها فان كانت فيها شيء من التجديد ينبغي ان لا يكون ذلك على حساب القواعد الأصلية.

الأعمال الثقافية والدينية التي تُنجز بنفقات بيت المال ومن اموال الحكومة، ينبغي الاقتصاد فيها إلى أقصى حد ممكن وان يُنظر إليها على انها عمل علمي وديني وليس مشروعاً للتكتسب. واذ اكان الآخرون يتقاضون مبالغ كبيرة لقاء ما يقومون به من تحقيق الكتب، فهذا لا ينبغي ان يُتخذ ذريعة ويؤدي إلى افراغ عملنا. نحن الحوزويين . من الجانب المعنوي.

أول ما أبدأ بتوجيه النصيحة والموعظة إلى نفسي وأقول لو فورن ما يُسقى بالأعمال العلمية الجديدة مع المشقّة المظنية والمتاعب التي كان يبذلها السابقون، فهل هناك تشابه بينهما من الناحية المعنوية؟ فهل صاحب كتاب وسائل الشيعة الذي قضى عشرين سنة من العمل المتواصل، أو ثقة الإسلام الكليني الذي انفق من عمره ٢٠ سنة من العمل، أو الشيخ الصدوق بما كان له من أسفار في ظروف واوضاع ذلك الزمان، هل كانوا يرتجون الحصول على أجر مقابل اتعابهم سوى من الله تعالى ومن أهل البيت عليهم السلام ؟ أقول لنفسي: ينبغي أن أسعي وأحاول السير على غرار سيرتهم على الاقل والتشبّه بهم لاكون في مصافهم أو حتى وإن كان أدنى منهم بكثير.

«ملاحظة أخيرة

في ما يخص موسوعة الشريف المرتضى، من الضروري والمفيد اعداد مجلد لفهارس شاملة لها. يُذكر فيها معاصره والكتب التي اعتمدها. واذ اراد المحققون ايجاد خلاصة لجميع كتبه ومؤلفاته الموجودة، يسهل عليهم ذلك، وهكذا الحال بالنسبة إلى الآيات القرآني التي وردت في كتبه.

كتاب الشافي بما له من مكانة، تكتنفه مشاكل من حيث العبارات ونظمها، حتى ان الشيخ الطوسي بادر إلى تلخيصه. وينبغي ان يوضع هذا التلخيص إلى جانب مؤلفاته. وهذه الطبعة الموجودة حالياً متارة ولا تحتاج إلى عمل جديد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المصدر: الامانة العامة لمؤتمرات مؤسسة دارالحديث